عـــنوان الدرس الســـابـــــع

الحـــــداثة الشـــــــــــعـــــرية في الجـــــزائر

***- مدخل**

1- المحور الأول: بواعث الحداثة الشعرية الجزائرية.

2- المحور الثاني:رواد الحداثة الشعرية في الجزائر.

***- خاتمة.**

***- مدخـــــل:**

تعدّ الحداثة الجزائرية جزءا من الحداثة العربية،والتي قدمت الكثير لفنّ الشعر،لقد بدأت بوادر الحداثة الجزائرية تتجلى تدريجيًا خصوصصا بعد أن ظهرت قصيدة التفعيلة الجزائرية على الساحة الفكرية الوطنية تصدح في حناجر العديد من الشعراء الذين سخروا أقلامهم في عرض المأساة الوطنية للشعب الجزائري الراضخ تحت رحمة الاستعمار الفرنسي ،لذلك كان شعراء

الحداثة في الجزائر يقودون المجتمع الجزائري نحوَ تحقيق رؤية نقدية واعية،فكل التجارب الشعرية التي عرضها المبدع الجزائري كانت في النهاية تتوافق مع رياح التجديد،والتجريب النقدي الذي هبّ على كيان الإبداع الجزائري كرؤية نقدية تفاعلية لم تكن معهودة من قبل على مستوى النظم الشعري،إذْ"تمظهر في قالب تحوّلٍ طرأ على الشعر العربي، يمكن حصره في إعادة النظر في مفهوم الشعر ووظيفته(...) وكسر مساحة الصور ودفع القصيدة نحو ذرى جديدة قوامها الصور المركبة الانتشارية،والبحث عن أشكال جديدة تكون قادرة على الإحاطة بالصراعات التي ترج الواقع العربي "[1] .

قدم رواد حركة الحداثة الأدبية في الجزائر الكثير من التجارب الشعرية المعاصرة محاكين في ذلك رواد الحداثة الغربية والعربية في وجهة واحدة هي نشر أساليب معاصرة للنص الشعري الحزائري،وتقويم نظرة النقد العربي نحو إبداع الشعراء الجزائريين الذين لايعرف عن شعرهم شيء،فكانت تلك البدايات محتشمة فيها الكثير من المواقف الإرتجالية التي باتت ضربًا من الريبة من ولوج عالم الحداثة الاجتماعية/الفكرية/الثقافية/السياسية/ النفسية... ،حيث لم يعرف الشعر الجزائري المعاصر"زلزالا بالعنف الذي عرفه مع حركة الحداثة، فقد حققت هذه الحركة بالقول وبالفعل تغيرًّا جذريًا في طبيعة هذا الشعر وبنائه ومضامينه،بعد أن دمرت الحواجز بين الأمور جميعًا"[2]،إذ لمعت عديد الأسماء من شعراء الحداثة الجزائريين نحوَ:(**أبو القاسم سعد الله/محمد الصالح باوية/سليمان جوادي/عثمان لوصيف/عزّ الدين ميهوبي**...)،فجيمع هؤلاء الشعراء قدموا العديد من النماذج الشعرية الجزائرية الموشحة بصور الحداثة من تناصات/انزياحات/خروقات شعرية/مفارقات صورية/لغة شعرية/كثافة ...،وتلك الصور التي شكلت المعنى العام للنص الشعري الجزائري كانت الدافع وراء ازدهاره فنيًا وجماليًا.

1- المحور الأول: بواعث الحداثة الشعرية الجزائرية

يُعَدُّ الشّعر من أرقى أنواع الفنون الأدبية حيث تنطلق فيه نفسية الأديب نحو الإبداع وتقدم رؤية الأديب لواقعه بصورة فنية، مثالية يتواصل بها مع مجتمعه" في عالم الجمال، والوجدان لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة، ليست نظرته وليدة المنطق،أو العلم ولكنها وليدة الحدس،وليست أدواته هي التحليل والتركيب، بل هي الخيال المضيف"[3] وقد يستعير المبدع بعض أدواته الشعرية، ومعانيها ورموزها وتواريخها وشخصياتها من أجل تبليغ رسالة ما للمتلقي الذي يساهم في التفاعل مع المثقف إبدعًا كالتحفيز للثورة، أو مراسيم التأبين للشخصيات السياسية أو الرفع من قدر شخص سياسي ما أو الحط من قدره .

عندما نقرن الشّعر بالحداثة فنحن في حقيقة الأمر أمام متعتين؛متعة الفنّ الشعري بخياله وتصويره وموسيقاه،ومتعة الموضوع بزخمه وهوله وروعة المشهد،وما خلفه من آثار عميقة في مضامين الشعر الجزائري،فهذا هو حال شعراء الحداثة "حقًا إنّ الحداثة التي تسللت إلى عروق القصيدة العربية في العصر الحديث،لاشكّ حملت تجديدًا في الشكل والمضمون، ونحت بالشعر نحو فضاءات متحررة من الكبت والجمود"[4] و و غدت مصدرا مهما من مصادر الإلهام ،ورغم كل ذلك يبقى شعر الحداثة الجزائرية سجلاً تاريخيًا هامًا في توثيق مختلف:(**الأحداث الاجتماعية/التاريخية/السياسية)** التي شهدتها الجزائر من بطولات،وأمجاد الثوار والمجاهدين الذين قدموا أنفسهم قرابين لحماية الوطن،واسترجاع كرامته،فقد تعددت مواضيع شعراء الحداثة من تمجيد للشهداء ورفضهم لأساليب الاستعمار الفرنسي المحتل الغاصب،وحثّ للشعب الجزائري الثائر على الصمود والمواجهة، وذمهم لجرائم الاستعمار ضد العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، وكشفهم الخونة وغيرها من المواضيع التي أبدع فيها شعراء الحداثة الجزائريون، وبقدر ما تشرفت ثورتنا المجيدة بجهود الشعراء فقد تشرفوا هم كذلك بها، وهذه هي النتيجة الطبيعية لتلاحم شعر الحداثة مع جميع الأحداث **التاريخية الاجتماعية/السياسية** الجليلة ومواكبتها ليبقى

الشعر شاهدا عليها،ومواكبًا لأحداثها التي عايشها الشعراء وتجرعوا مراراتها نحو: **أبو القاسم سعد الله/ سليمان جوادي/ محمد الصالح باوية،** وغيرهم من شعراء الحداثة الذي وثّقوا أحداث مجتمعهم دون خوف من الاستعمار بعد أن كشفوا جرائمه للرأي العام العربي والعالمي، وبذلك أثبتوا للإنسانية زيفه وألاعيبه التي كان يخفيها عن العالم،و من أهمّ بواعث الحداثة الشعرية الجزائرية ما يلي:

أ-الباعــث السياسي:

يجدر بنا الوقوف عند الباعث الثوري السياسي الذي كان هدفا للعديد من الشعراء فالنزاع المسلح مع الاستدمار الفرنسي كان سببًا في الحثّ على الجهاد باعتباره أفضل العبادات وأشرف موت في نظرهم خاصة الموت في ساحة الجهاد،والاستشهاد في سبيل الله والوطن،وهذا ما جعل المعجم الشعري غنيا بكلّ المعاني،والعبارات الثورية الدالة على شرف الجهاد والداعية إلى أخذ الاستقلال، فالعلاقة بين الأدب والسياسة خصبة ومعقدة، وليس "للسياسة في الأدب أن تحصر بالمعنى التقني فذلك ينفي الأدبية، السياسة في الأدب تحصر بمعناها التاريخي أي بما هي أشكال لوعيه وممارسته الحياة الاجتماعية،والأدبية ليمارس السياسة في إنتاجه ولكن بأدواته،(...) وما أصعب ذلك عندما يكون الشعر هو أداة الرؤية"[5]،كما أنّ تطور الأحداث السياسية في بداية الخمسينيات،والتي توجت باندلاع الثورة المظفرة دفعت الشاعر الجزائري إلى رفض البقاء معزولا عما يجري من أحداث سياسية بل إنّه أصرّ على المشاركة فيها بشكل واضح ومباشر وأن يسجل وجوده عمليا في ثورة **"نوفمبر 1954م"** فكان عليه أن يضطلع بواجبه في العمل الثوري بجانب المجاهدين، من خلال تنظيم صفوفه وتجنيد قريحته الشعرية في تخليد تاريخ الثورة ونضالها السياسي والمسلح معا في ثنائية حتى يتحقق النصر على أيدي الثّوار.

أمّا في فترة الاستقلال،فقد انتشر صمت رهيب أصاب كبار شعراء الحداثة الذين واكبوا الثورة،حيث يقول عبد المالك مرتاض في هذا الصدد" لانجد له علة شافية ولا إجابة مقنعة مثل مفدي زكرياء وأبي القاسم خمار ومحمد الصالح باوية...فلما تحقق الشيء الذي كان يبدو لهم مستحيلا ،وهو خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر مقهورا مدحورا،ورفعت الراية الوطنية فتحت لهم أبواب الوظائف على مصراعيها "[6]،ومن ثم هجروا الشعر، فلم يعد الوطن يستحق التغني أكثر مما يستحق العمل ،كما نجد من جهة أخرى التعبير عن مرارة الخيبة لدى شعراء السبعينات والثمانينات،وحتى جيل التسعينيات من القرن الماضي ،وهذا ماعكسه شعر الحداثة الجزائري.

ب-الباعث الاجتماعي:

إنّ شاعر الحداثة الجزائري " مسؤول عن تقدم مجتمعه وتأخره باعتباره مشاركا فيه متأثرا به مؤثرا فيه"[7]،وعليه كان يذود عن وطنه أيام السلم والحرب،ولاتثني عزيمته أية معضلة فهو بمثابة الصحفي في نقل الأخبار وتفنيدها انطلاقا من أنّ الشعر الحداثي الثوري الجزائري تميز بالروح الوطنية والدفاع عن الحرية والكرامة، فكان السجل الصادق للنبض الاجتماعي والثقافي والديني، حيث سجل الكثير من الحوادث التاريخية، فتابع معارك جبهة التحرير الوطنية السياسية والمسلحة في كامل ربوع الجزائر مسجلاً انتصاراتها وهزائمها، وحارب الظلم والطغيان بكل أشكاله الذي شنه الاستعمار وعملاؤه من المرتزقة،والخونة وصور تلك المشاهد بدافع الحماس المشبع بوطنية الجزائر.

2- نماذج من رواد قصيدة الحداثة الجزائرية:

تنوعت قصائد الحداثة في الشعر الجزائري المعاصر خاصة بعد نكبة حزيران يونيو (1967م)،التي باتت تعبّرعن هموم المجتمع، وكلومه التي تنخر في جسده تدريجيًا من أجل البحث عن ترياق شاف لذاته المقهورة،فقد قدم الكثير من شعراء الحداثة قصائدهم موشحة بقضايا المجتمع

الجزائري التي شهدوها أو تجرعوا مرارتها كالمواضيع السياسية/الثقافية التاريخية/الفكرية/العشرية السوداء...إلخ،ومن هؤلاء الشعراء نذكر:الشاعر(**سليمان جوادي**)، الشاعر(**عزّ الدين ميهوبي**)،الشاعر (**عثمان لوصيف**)،الشاعر (**الأخضر فلوس**) ،الشاعرة (**زينب الأعوج**)، الشاعر(**عبد الحميد شكيل**)،وغيرهم من شعراء الحداثة الجزائريين.

أ- الشاعر: سليمان جوادي:

لقد كانت الكتابات الشعرية للشاعر الجزائري(**سليمان جوادي**) تمثل بؤرة من بؤر الحداثة الشعرية لما فيها من إضاءات فنية وجمالية تصور لغة الخرق والتجاوز التي ظلت حبيسة تجربة شعرية مقموعة من النظم،والإبراز المفضي للحداثة التي تنشدها القصيدة الجزائرية المعاصرة في فترة من تاريخ الجزائري،وعليه نسوق قصيدتي:(**يا شعبنا ما أروعك/ أحزان**):

"يا شعبنا ما أروعك
ياشعبنا قلبي معك
يا شعبنا...
ما أتفه القلب الذي
يحنو عليك ليخدعك
ويريك نور الشمس صبحًا
كي يدبر في اللّيالي مصرعك
إسلام من... هذا الذي زعموا
يميت الحبّ فيك
يبيح دومًا أدمعك
ويريق من دمك الغزيرجداولاً
ويشق من يوم لأخر أضلعك
هذا الذي وضع اللّحى
فوق العقول
وراح يبغي تصدعك"[8]

وفي قصيدة (**أحزان**) نجده يجسد لغة حزينة تصور ذاته المنكسرة في عالم التمزق والهوان الذي بات فيه الإنسان شيء في عالم الضياع،حيث المسخ والتيه،وهي كالآتي:

"آمنت لكن بأحزاني وآلامي
وعشت لكن بآلامي وأحلامي
ولذت بالشعر، لاخل أطارحه
همي، ولاغادة تضغي لأوهامي
قد سجل الدهر بي من شاء من نوب
كأنّي ريشة في كف رسام"[9]

ب- الشاعر عثمان لوصيف:

أمّا الشاعر(**عثمان لوصيف**)، فهو من شعراء الحداثة المعاصرين،له عدّة دواوين شعرية نذكر منها:**الكتابة بالنار** سنة(1982م)،**شبق الياسمين** سنة(1986م)،**أعراس الملح** سنة (1988م)،ونقدّم بعض المقاطع من دواوينه الشعرية التي يصور فيها تجربته الشعرية ومنها الثورة على بعض العادات والطقوس البالية المنتشرة في المجتمعات الشعبية منها عادة شيخ الحضرة ومايقوم به من شعوذة،ودجل في استحضار الأرواح وسحر أعين الناس بالتمائم والقراطيس،والتي باتت عادات قبيحة تنم عن جهل المجتمع،إذْ يقول فيها:

"أيها الشيخ!..
لملم قراطيسك السود
لملم حواشيك .. والخرق الباليه

آه لملم رفوفك
لملم دفوفك"[10]

وفي مقطع شعري آخر نجده يصور حالة الطبيعة التي باتت مكانًا للموت والفناء،وهذا الأمر قد انعكس على نفسيته المكلومة،وما فيها من اليأس والقنوط والألم والجراح التي باتت تنخر في روحه،وفكره،حيث يقول:

"لا عشب لا نوار
في هذه الديار
هذا زمان العقم والخريف
والموت والتريف
وهذه المواشي
قد أوغلت
في ملك البسابس العطاشِ"[11]

جـ الشاعر عبد الحميد شكيل:

هو شاعر من شعراء الحداثة الجزائرية المعاصرين الذي وثقوا العديد من القضايا التي عاشها عبر حقب زمنية مترامية الأطراف ليكشف عن مدى معاناة الفرد الجزائري،وقد كانت جلّ قصائده الشعرية هي صرخة الإنسان المعاصر الناقم على سياسة الألم والتنكيل التي يحياها الفرد العربي،وقد انتقينا بعض المقاطع الشعرية،والتي منها:

" ونحن- نعلم أيّها المدّعي الجبان-
بأنّك لاتقدر على ردع ذبابة
تطنّ فوق رأسك الثمل
وتزعم في الخطب الكثير
بأنّ النعيم والسعادة الملونة،
ستغمر الجميع،
ستدفىء الجميع،
وكل يعلم بأنّك كذّبُ هذا العصر(...)
حياتك ياسيد الرجال،
زجاجة وامرأة
فكيف-إذن-
تشيّد سعادة المضعفين"[12]

وفي مقطع شعري آخر نجده يصور حالة الألم الذي هو فيه،في مناجاة صوفية لعل الله يستجيب لسلواه،ورجائه،فيقول:

"الغوث..
الغوث..
ياباسط الرزق،
ياعادم لون البهوت،
لاتعكر صفوَ مدائحي،
رحماكَ ياخالقي،"[13]

دـ الشاعر الأخضر فلوس:

هو شاعر جزائري معاصر عانى هو الآخر من سياسة التهميش والتقزيم من طرف ساسة الثقافة الجزائرية،وقد صور العديد من الآهات الإنسانية، خاصة حالات التيه والضياع التي بات

يتخبط فيها المثقف الجزائري،وهي حالة من الهيستيريا الفنية التي انعكست في الكثير من الأعمال الأدبية وخاصى الشعرية منها،فيقول:

"جاء من جنته يبحث عن دفتر حظ..
حمل النخل البعيد
في يديه..
حينما صافح جدران الليالي والجليد..
صارت النخلات تبكي
عن تراب أول
واستقرت جمرة في جانبيه.."[14]

وفي مقطع آخر نجده يصور شوقه،وحنينه اللامحدود لوطنه،ويتجرع مرارة مايحدث لوطنه من مآس باتت تشوه صورة وطنه،بعدما أصبح هذا الأخير في سلة المهملات لعبة يتقاذفها رجال الساسة والعسكر في زمن العشرية السوداء،فيقول متحسرًا في ذلك:

"جمجمتي انتفضت مثل عصفورة ذبحت...
شوآة الملح بين جراحي نابحة..
وحنيني يفيض على الماء ..والوطن!..
شمعة تتوقد عند نوافذ قلبي...
ورائحة الأرض في سلة المهملات تشير إلى نفسها
ليتساقط فوق رباها الحنين المذاب..
فتأخذها هزةٌ..
آه يا وطني !!.."[15]

وفي الأخير قدمت القصيدة الجزائرية الحداثية العديد من النماذج الشعرية الراقية التي باتت تحاكي شعر السياب ونازك ونزار،وغيرهم من شعراء الحداثة المعاصرين.

الهــوامش والإحــالات:

(1) محمد لطفي اليوسفي: في بنية الشعر العربي المعاصر،سراس للنش،تونس،ط3، 1996،ص11.
(2) محمد محمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر(بيانها ومظاهرها)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان،ط1، 1996، ص5.

(3)خالد الكركي: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث،دار الجيل، بيروت. لبنان،ط1، 1989،ص21.

(4) مسعد بن عيد العطوي: تأملات في الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن،ط1، 2014،ص 28.

(5) نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والالتزام،سوريا:دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا،ط1، 1985،ص93.

(6) عبد المالك مرتاض: مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري، مجلة دراسات جزائرية.ع3. الجزائر،2006،ص86

(7) رضا عامر: مقاربة سيمائية في عنوان ديوان بسمات من الصحراء،مجلة الباحث،ع04، منشورات جامعة البويرة، الجزائر،2008،ص107.

(8) سليمان جوادي، www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=77043&r=&rc=1

(9) سليمان جوادي، www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=77056&r=&rc=14

(10) عثمان لوصيف:نمش وهديل، دار هومة،الجزائر،ط1، 1997،ص68.

(11) عثمان لوصيف:الإرهاصات، دار هومة،الجزائر،ط1، 1997،ص23.

(12) عبد الحميد شكيل: سنابل الرمل... سنابل الحبّ،موفم للنشر، الجزائر،ط2008،1، ص34، 35.

(13) عبد الحميد شكيل:مرايا الماء"مقام بونة"،منشورات وزراة الثقافة،الجزائر،ط1، 2005،ص 151.

(14) الأخضر فلوس: مرثية الرجل الذي رأى، منشورات الإختلاف، مؤسسة الفنون المطبعية ، الجزائر،ط1، 2002،ص42

(15) الأخضر فلوس: عراجين الحنين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر،ط1، 2002، ص32، 33.